

حياة الكنيسة في عصور الاستشهاد

بداية المُخاض :

لقد قال المسيح رب المجد لتلاميذه “ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضَيْقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ وَتَكُونُونَ مُبْغُضِينَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي . وَالَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى ذَاكَ يَخْلُصُ ” (مت 24 : 9) .

وبهذا يكون المسيح رب المجد قد أوضح طبيعة الحياة معه ، ونوعية المحن والضيق الذي سينال كل من يشهد لإنجيله ، ومن ناحية أخرى أظهر عظم مكافأة محبيه الذين حفظوا صبره وإيمانه “ إفرحوا وتهللوا لأنَّ أجركم عظيم في السموات ” .

لذلك نجد أنَّ التلاميذ بعد ما كرزوا بالمسيح فُبِضَ عليهم وقُدِّموا للمحاكمات “ فلما سمعوا حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوه ” (أع 5 : 33) ، ولكن التلاميذ “ ذهبوا فرحين لأنهم حُسيبوا مُستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه ” (أع 5 : 41) .

لقد حَلَّت التجربة الأولى بالكنيسة باستشهاد إسْتِفَانُوس الذي سَبَّبَ ألاماً عظيماً للكنيسة ، وضييقاً وتشتيتاً للجميع ... ولكن هذا التشتُّت أصبح بركة للعمل الكرازي ، لأنَّ الذين تشتَّتوا جالوا مُبشِّرين بالكلمة ..

ويُعد الشهيد إسْتِفَانُوس رئيس الشمامسة الذي رُجِمَ سنة 36م (أع 8) ، ويعقوب الكبير بن زبدي الذي قتلَهُ هيرودس بالسيف سنة 44م (أع 12 : 2) من أشهر الشهداء .

وكانما منح هذا الاستشهاد الكنيسة قوة لتمتد أفاقياً وتفترش أراضي جديدة تنضم لحساب الملكوت ، وصارت شهادة الدم سبب بركة للكنيسة المقدسة بعد أن أصبح دم الشهيد بذار للإيمان بالمسيح ، وبعد أن أصبح الضيق والتشتُّت كرازة وبشارة لاسم المسيح رب الكنيسة وعريسها .

ثم جاءت التجربة الثانية بقتل يعقوب بن زبدي أخي يوحنا الحبيب ، إنه ثمن التبعية للمسيح والشهادة لاسمه العظيم القدوس لكي يتبارك ويرتفع ..

وهنا تعمَّق في وجدان الكنيسة الأولى أنَّ الاستشهاد ليس أمراً استثنائياً ولا جزءاً إضافياً ، بل ضرورة حتمية للإيمان المسيحي ... فجميع الذين يعيشون بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون ... ويقول لسان العطر بولس الرسول ، أنه يحمل في جسده سمات الرب يسوع ، التي هي جروحه وآلامه المُخْلِصة المُحيية ، لذلك يُوصي الكنائس والمؤمنين أن يحملوا إِماتات الرب حتى تظهر حياة يسوع فيهم (2كو 4 : 10) .

وبانتقال الرعيل الأول من التلاميذ والرسل ، الذين اسْتُشْهِدَ غالبيتهم ، تسَلَّمَت الكنيسة ذخيرة حيَّة من التعاليم والتقاليد التي تحث المؤمنين على الشجاعة والصبر والجلد ، وتحبب إليهم الموت لأجل اسم المسيح ، فيستعذبون الألم لينالوا المجد ، بالاتحاد بذبيحته بواسطة الاستشهاد .

وازدادت الشجاعة في بعض القديسين حتى صارت شوقاً وتلهُفاً إلى الاستشهاد ، وانتقل الآلاف من دمنهور إلى الأسكندرية المدينة العظمية لكي يستشهدوا ، والقديس أبا فام الجندي لمَّا دُعِيَ للإستشهاد ، لبَسَ أفرخ ثيابه ، وقال “ أن هذا هو يوم عُرسِي ” .

والقديس أغناطيوس الأنطاكي ، خاف أن تأخذ المؤمنين الشفقة عليه فيحرموه من حلاوة الاستشهاد ، بل وازدادت قيمة الاستشهاد لمَّا اكتشفت فيه الكنيسة كرامة تجعل صاحبها على مستوى كرامة الرسل ، الذي وعدهم المسيح أنه متى جلس على كرسي مجده سيجلسون على اثني عشر كرسي ، وكان أول من أعلن هذه الكرامة الشهيد الأنطاكي أغناطيوس – أحد الآباء الرسولين – عندما ذهب ليستشهد وقال :

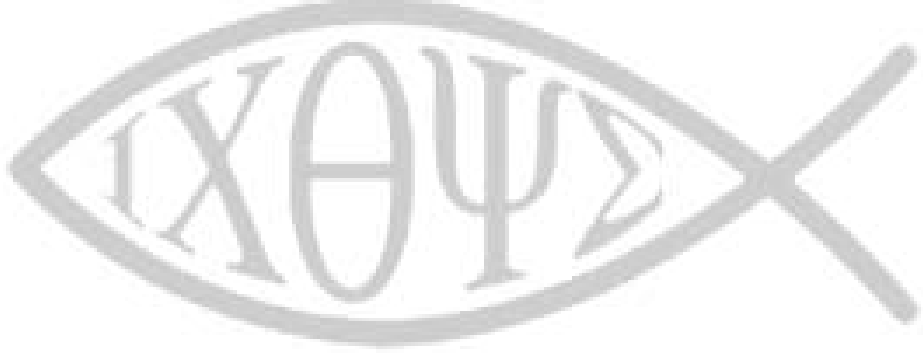
“ لقد ابتدأت أن أكون تلميذاً للمسيح ”

وأكد العلامة أكليمينضس السكندري ، في أواخر القرن الثاني ، أنَّ الاستشهاد عقيدة راسخة في الكنيسة ، ولم يعد للكنيسة شرف أعظم من تقديم الشهداء للسماء ، إذ ليس هناك ما يُعادل كرامتهم ..

ولمّا تزايد عدد الشهداء ، رأت الكنيسة أنّ كلمة “ شهيد ” وحدها ليست كافية للتعبير عن كرامة الذين دفعوا دمايهم ثمناً للإيمان وغلّبوا العالم بكلمة شهادتهم ، فألحقت بها صفات أخرى مثل :
الكامِل – المغبوط – الطوباوي – السعيد ... وغيرها من الألقاب التي أضفتها الكنيسة على شُهداءها .
وكان الشهداء يرون أنّ الاستشهاد هو أقصر طريق يؤدي إلى الأفراح الأبدية .. إنها مجرد لحظات يكونون بعدها في أحضان أبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب ، في نور القديسين ، حيث مجد إلها وحيث لا تقف أمامه خليفة صامته .

كانوا يرونه شركة في آلام المسيح وفي موته ، وأيضاً شركة في مجده ، لذلك كان كثير من الشهداء يرون أكاليهم ومجد السموات وابن الله قائم عن يمين العظمة ، فكانوا يثقون بالإيمان بما أعدّه الله لمُحبي اسمه القدوس ..

لقد رأى هؤلاء الكاملون شُهداء المسيح ، أنّ الاستشهاد خير تعبير عن محبتهم لله وصدق رجائهم الذي ملك على قلوبهم ، فما كانوا يرون الموت إلاً انطلاقاً من سجن الجسد ، بعد أن كشف لنا ربنا يسوع المسيح قائد الشهداء وربهم عن أعماق مفهوم الاستشهاد الحقيقي ، وبعد أن خرج غالباً ولكي يغلب ..



للدراسات الآبائية

<http://www.ixoyc.net>

frathanasius.george@ixoyc.net